

" أثر الحركات الفكرية في العراق على واقع التعليم كلية الآداب إنموذجاً ١٩٥٠-١٩٦٨ "

"The Impact of Intellectual Movements in Iraq on the Reality of Education The College of Arts as a Model 1950-1968"

A. M. D. Muhammad AbboudSaad Al-Saadi

أ.م. د. محمد عبود سعد الساعدي

المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة

Mdddbbb5@gmail.com

الملخص

نشطت الحركات الفكرية في تاريخ العراق المعاصر بشكل طبيعي وبرزت خلالها الحركة القومية العربية والحركة الإسلامية ثم الحركة الاشتراكية (الشيوعية). فبدأت الحركات الفكرية تنشط داخل العراق. وكان للصحافة دور كبير في نشر تلك الأفكار، فضلاً عن الأحزاب السياسية التي كان يتأثر بأفكارها الأساتذة والطلبة في ذات الوقت. غير أن الطلبة سيما أولئك الذين اكملوا دراستهم في أوروبا وبلاد المشرق العربي كان لهم دور كبير في نشر الحركات الفكرية داخل العراق وبين أروقة الكليات. وفي مطلع خمسينيات القرن العشرين ازدادت حدتها مع حصول الثورات التحررية في البلاد العربية وانعكاسها على النخب العراقية وبقية المجتمع العراقي.

كانت كلية الآداب من بين تلك المؤسسات التعليمية التي أثرت فيها الحركات الفكرية على مستوى الأساتذة والطلبة، فبرزت تلك الحركات داخل أروقة التعليم على المستويين الثقافي والسياسي. وقد برزت خلال مدة الدراسة حركتين فكريتين بارزتين استمرت تؤثر على المجتمع العراقي منها الحركة القومية والحركة الشيوعية، وقد الفت هاتين الحركتين بظلالها على واقع كلية الآداب للمدة ١٩٥٠-١٩٦٨ .

الكلمات المفتاحية (التعليم- كلية الآداب-العراق-القوميين- الشيوعيين)

Abstract

Intellectual movements naturally flourished in Iraq's modern history, with the emergence of the Arab nationalist movement, the Islamic movement, and then the socialist (communist) movement. Intellectual movements began to flourish within Iraq. The press played a major role in disseminating these ideas, as did the political parties, whose ideas influenced both professors and

students. However, students, particularly those who completed their studies in Europe and the Arab Levant, played a major role in spreading intellectual movements within Iraq and within the college campuses. In the early 1950s, these movements intensified with the liberation revolutions in Arab countries and their repercussions on Iraqi elites and the rest of Iraqi society.

The College of Arts was among those educational institutions that were influenced by intellectual movements at the faculty and student levels. These movements emerged within the halls of education at the cultural and political levels. During the study period, two prominent intellectual movements emerged that continued to influence Iraqi society: the nationalist movement and the communist movement. These two movements cast their shadows on the reality of the College of Arts during the period 1950-1968.

Keywords (Education - College of Arts –Iraq- Nationalistic- Communists)

أولاً: الحركات الفكرية واثرها على الجانب الثقافي في كلية الآداب ١٩٥٠-١٩٦٨ :

في مستهل الحديث، بينت إحدى الوثائق السرية لمديرية التحقيقات الجنائية نوع الحركات الفكرية التي كانت سائدة في كلية الآداب آنذاك وهي على الشكل التالي: القوميين، الشيوعيين، الإخوان المسلمين، اليسار الديمقراطي (الليبرالي) والاكراذ (د.ك.و.و)، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٥ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٠-١٩٥٤، (صفحة ٥٣). أما الإخوان المسلمين فكانوا ينظمون انفسهم داخل الكلية بشكل هادئ وهم على الاغلب مسالمين. وقد برز من تلك التيارات على مستوى الحركة الطلابية والاساتذة تياران أساسيان هما التيار القومي، والتيار الشيوعي. غير ان التيار الاول كان اكثر نمواً على مستوى الطلبة نظراً لموقفه من القضية الفلسطينية، ونتيجة لاعتراف الثاني (الحزب الشيوعي) بالكيان الاسرائيلي الصهيوني. لكن على الرغم من ذلك كان هذان التياران ينسقان مواقفهما داخل كلية الآداب ابان القضايا الوطنية. (الحصونة، ١٩٤٧-١٩٦٣، الصفحات ٨٢-٨٣).

في الصدد نفسه، توضح إحدى طالبات الكلية آنذاك الحركات الفكرية داخل الكلية، بقولها: "كان معظم الطلبة الفلسطينيين من القوميين العرب، ولم تُخلق اواصر صداقة تربطنا بهم باستثناء قلة من امثال سولافة حجاوي، وبقي معظمهم مجرد معارف، لم يكن ثمة اختلاط بين الطلبة من اليساريين او الديمقراطيين او الشيوعيين وبين القوميين والبعثيين. فالانقسام كان إيديولوجياً، فمعظم الطلبة الفلسطينيين يميلون او ينتمون الى الاحزاب القومية او حزب البعث (المنحل)، الذي كان يتبلور في كلية الآداب". (شرارة، ٢٠١٥، الصفحات ٦٧-٦٨). علاوة على ذلك، يصور لنا صالح احمد العلي وهو من أوائل التدريسيين في كلية الآداب طبيعة تلك التيارات داخل كلية الآداب، بما نصه: "ان مرحلة الخمسينيات مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تاريخ التعليم في العراق والحركة الطلابية لا بل تاريخ المنطقة العربية، اذ كانت عصر تحولات فكرية هائلة لم يعد بالإمكان العودة فيها الى فكر ما قبل الحرب العالمية الثانية، فبرزت التيارات التحررية التيارات اليسارية والقومية المختلفة". (جاسم، ٢٠١٠، صفحة ٦٨)

بدأت بواكير النشاطات الفكرية على المستوى الثقافي لطلبة كلية الآداب من خلال انشاء المجلات وإصدار الصحف، ونشر المقالات. وكانت أولى تلك المجلات هي مجلة "بذرة الجامعة" التي أسسها طلبة الكلية عام ١٩٥٠، وهي ذات توجه فكري شيوعي. وبعد صدورهما لمدة عامين اوعزت عمادة الكلية الى الغاء تلك المجلة كونها تتناول موضوعات فكرية اصطدمت بالدين والعرف الاجتماعي (المدى، ٢٠١٧).

من النشاطات الفكرية التي تميزت داخل كلية الآداب ما اطلق عليه "الاجتماع الاسبوعي"، وهو من النشاطات الفكرية التي تنبأها الطلبة الشيوعيين في الكلية والذي بدأ منذ عام ١٩٥١، وهو عبارة عن جلسة فكرية تعقد في نادي الكلية يحضرها كثير من طلبة اقسام الكلية. وكانت فعاليات ونشاطات الاجتماع الاسبوعي تتخللها بعض القصائد الشعرية ولا تخلو من الانتقادات للحكومة وكذلك النقاش في ابرز الاحداث على الساحة العراقية وفي بعض الاحيان يحضر ذلك النشاط الاسبوعي بعض أساتذة الكلية (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٣٢٠). نذكر منها موقف الطالب في قسم اللغة العربية آنذاك مظفر النواب، والمعروف ان الاخير كان شاعراً نافذاً في شعره لكل شيء تقريباً، فتذكر احدي طالبات الكلية انه بعد قيام مظفر النواب بإلقاء قصيدته الشعبية "فراش الكلية مروي" وهو اسم مسيحي لأحد موظفي العمادة، كانت القصيدة عبارة عن انتقاد لتدخل الأجهزة الأمنية بشؤون الكلية ونالت القصيدة اعجاب الكثيرين. (المدى، ٢٠١٩).

أسست عام ١٩٥٢، "جمعية الانطباعيين" التي كانت تحمل افكاراً ليبرالية فانضم اليها عدد من الطلبة والأساتذة ايضاً. والواضح ان لأستاذي الرسم (جبرا ابراهيم جبرا، وحافظ الدروبي)، دور مهم في تثقيف الطلبة بالثقافة الليبرالية وجعلهم يميلون ويحبون ذلك الفكر وكان كل استاذ مؤسس جمعية في كلية الآداب يحاول قدر الامكان ان يجذب الطلبة البارزين والذين يرى فيهم قدرات معينة الى جمعيته، وفي الوقت نفسه لا يعترضون على انتماء اي طالب اخر مهما كانت قدراته (شرارة، ٢٠١٥، صفحة ١٠٠) تأسيساً على ذلك، اصدر الطلبة القوميين في عام ١٩٥٤، "المجلة الجامعية". غير ان تلك المجلة كانت توزع بشكل سري خشية من ملاحقة وزارة المعارف للطلبة، وتوزع في بعض المكتبات خارج الجامعة، لكنها لم تستمر بسبب الظروف المالية للطلبة (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٦٦). كما أسهمت "جمعية النشاط الثقافي"، التي يديرها الطلبة القوميين داخل كلية الآداب بنشاط ثقافي وفكري سنوي في السابغ عشر من نيسان من كل عام، وخلال عام ١٩٥٥، واثناء إقامة ذلك النشاط اجتمع عدد من الطلبة للاحتفال بـ "يوم المغرب العربي"، فاستغل الطلبة تلك مناسبة للتنديد بسياسة الحكومة العراقية تجاه القضايا القومية العربية وهو ما اشارت اليه احدي الوثائق الأمنية، اذ بينت ان تلك الاحتفالية كانت تنديد بسياسة الحكومة العراقية اكثر مما هي لأجل المغرب العربي (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٧٩).

بالمقابل، قام مجموعة من أساتذة كلية الآداب بتأسيس "الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق" خلال عام ١٩٥٩، اذ كان معظم أعضائه المؤسسون من التوجه الفكري اليساري^(*)، الامر الذي جعلهم تتعرضون لانتقادات واسعة من الادباء والاكاديميين القوميين، سيما أساتذة كلية الآداب. فنشرت صحيفة "الحرية" اعتراض الأساتذة في كلية الآداب وهم (علي الزبيدي- شاكراً مصطفى سليم- يوسف عز الدين)، وأشاروا الى ان الاتحاد يسيطر عليه مجموعة من المتعصبين للحزب الشيوعي، مطالبين بإعادة انتخاب الهيئة المؤسسة (جريدة، الحرية، ١٩٥٩). في حين بين الأستاذ يوسف عز الدين سبب رفضه التوقيع على تأسيس الاتحاد بقوله: "ان الاتحادات

(*) كل (محمد مهدي الجواهري- صلاح خالص- محمد صالح بحر العلوم- ذنون أيوب- مهدي المخزومي- علي جواد الطاهر- عبدالله كوران- عبد الوهاب البياتي- لميعة عباس عمارة- عبد الملك نوري- عبد المجيد الوندائي- علي جليل الورد- عبد الكريم الدجيلي- يوسف العاني- سعدي يوسف)، ينظر: محمد عبود سعد الساعدي، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

الادبية او الجمعيات يجب ان لا تكون تحت يد السلطة او في خدمة الحكام لكن رغم ذلك تم تأسيس "الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق". (الدين، ٢٠٠١، الصفحات ١٩-٢٠).

إثر احتدام الصراع الفكري اليساري والقومي أنشأ الأساتيد القوميون^(*)، "جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين" عام ١٩٦٠، وهي رد فعل لتأسيس اتحاد العام للأدباء من قبل اليساريين، وكانت تضم في بدايتها العنصر الأكاديمي لكنها وبشكل سريع فتحت المجال لانضمام عدد كبير من الكتاب والباحثين الذين كانوا يعملون ضمن الساحة الثقافية العراقية (العلاف، ٢٠٠٩، صفحة ٢٧٧). وعلل يوسف عز الدين سبب تأسيسها وتوجهها الفكري، بقوله: "ان بعض اساتذة كلية الآداب ظنوا ان الجمعية تأسست بالصد من اتحاد الادباء، وهو غير صحيح لان فكرة تأسيس الجمعية سبقت تأسيس الاتحاد فكان من الطبيعي ان تتعرض جمعية المؤلفين الى مضايقات، سيما انها تميزت بطابع قومي من خلال اعضائها وبسبب عدم مدحها للسلطة او ارسال البرقيات له او مقابلته وتقديم الهدايا كما يفعل الاتحاد العام (الدين، ٢٠٠١، صفحة ٢٠)

تماشياً مع ما تم ذكره، اصدر الطلبة الشيوعيين عام ١٩٥٩، مجلة أخرى حملت اسم "الحكمة"، وكان من الطلبة الناشطين في كتابة المقالات فيها هم (فاضل ثامر عبدالله- وعبدالمعظم المخزومي)، ونتيجة لتصاعد الصراع بين الطلبة الشيوعيين والقوميين توقفت المجلة عام ١٩٦٣ (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٣٠٧)، كما اصدر الليبراليون عام ١٩٦٦، مجلة باسم "الفكر الجديد"، وقد صدر منها عدنان، اذ تناولت مقالات وبحوث فكرية جديدة تعنى بالشؤون الفلسفية الأكاديمية، ونشر فيها الطلبة والأساتذة على حد سواء مختلف المواضيع، لكنها اغلقت عام ١٩٦٨ (الاداب، ١٩٦٨، صفحة ٧١؛ ياسين، ١٩٦٦، صفحة ٣). ويبدو ان مواضيع الفلسفة كانت تحمل افكاراً سياسية وادبية اخذت حيزاً بين الطلبة بشكل كبير فصاروا يتجادلون بمختلف الأفكار والمواضيع، نتيجة التغيرات السياسية وظهور الحركات الفكرية مثل (حزب البعث).

ثانياً:- الحركات الفكرية واثرها على الواقع التعليمي في كلية الآداب ١٩٥٠-١٩٥٨:

أثرت الحركات الفكرية على واقع الطلبة في كلية الآداب منذ تأسيسها وبدأ الطلبة يعبرون عن افكارهم بشكل علني، ففي الثامن عشر من كانون الاول ١٩٥٠، اشار تقرير صادر من مديرية الشرطة العامة، ان هناك نشاطات شيوعية لدى بعض طلبة الكلية الذين قاموا بلصق منشورات على جدران الكلية بشأن الانتخابات البرلمانية والحكومة، مثل: "تسقط وزارة السفاح ويحيى الحزب الشيوعي" و"انتخابات حرة حرة". وكانت اجهزة وزارة الداخلية تراقب عن كثب نشاطات طلبة واساتذتها، وعدت وزارة الداخلية وجود طلبة وأساتذة في الكلية يحملون افكاراً شيوعية وقومية امراً خطيراً ولا بد من اتخاذ اجراءات صارمة بحقهم (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٥ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٠-١٩٥٤، صفحة ٢٠٥)، كما بينت وثيقة امنية الى ان الطلبة من الإخوان المسلمين يدعمون ويقفون الى جانب الطلبة من بقية التوجهات كالقوميين والشيوعيين (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٧٣). من جانب اخر، ساهمت الطالبات في كلية الآداب الى جانب زملائهن في الشأن السياسي والاجتماعي وذلك بانضمامهن الى منظمات وروابط

(*) كل(عبدالعزیز الدوری-عبدالرزاق محي الدين-علي الزبيدي-يوسف عزالدين-محمود غناوي الزهيري-عبدالهادي محبوبة-جعفر حسين خصباك-عبدالكريم طه-حافظ جميل-محمد روزنامه جي-جاسم العبودي-عبدالمجيد حسيب القيسي-خضر الولي)، ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٢٣-٣٢٤.

اجتماعية وثقافية وسياسية (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٣٧٤) أبرزها "رابطة الدفاع عن حقوق المرأة" (*) التي تأسست عام ١٩٥٢، وهي من منظمات الحزب الشيوعي، وكانت من الطالبات الناشطات في تلك الرابطة الطالبة (سافرة جميل حافظ ونزيهة الدليمي)، وهن ناشطات في التنظيم السياسي للحزب الشيوعي، ومن المشرفات على توجيه التجمعات قبل بدء التظاهرات، علماً أن انتماءهن تم بشكل سري. (شرارة، ٢٠١٥، صفحة ١٠٤). وفي التاسع من تشرين الأول ١٩٥٢، قام طلبة الكلية بتوزيع مجلة "الجبهة العالمية للدفاع عن السلم" بشكل سري وهي إحدى منشورات "انصار السلام" (*) وكذلك نسخ من "نشرة السلم العالمي" وجريدة "القاعدة" التي انتشرت في العراق وتلك المنشورات كان لها أثر في نشر الفكر الشيوعي داخل الكليات (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، الصفحات ٧٠-٧١).

برز تأثير الحركات الفكرية داخل كلية الآداب بشكل كبير خلال انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ في العراق، بسبب مطالبة الأحزاب بتعديل الاتفاقية النفطية، وإطلاق الحريات العامة وكذلك تعديل قانون الانتخابات (حسن م.، ١٩٨٤، الصفحات ١٠-٢٥)، إذ بدأ الطلبة بتوزيع منشور "الشبيبة" وتحية "ثورة أكتوبر"، وتوزيع نسخ من مجلة "صوت الطلاب"، معلنين الاضراب عن الدراسة وطالبوا خلال اضرابهم بتحقيق مطالب الطلبة (**) ومطالب الأحزاب (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، الصفحات ٦٦-٧٠). وقد استفاد الحزب الشيوعي من تظاهرات الطلبة مما بدا وكأنه حادثة ثانوية لا صلة لها بالمعارك السياسية المحتدمة بينهم وبين السلطة، عبر جلب الطلبة الى الشوارع ودعمهم لمطالب الأحزاب السياسية لتعديل قانون الانتخابات (الوندادي، ١٩٩٢، صفحة ١٤٦).

بناءً على ذلك، تجمع طلبة الكليات والمدارس داخل بناية كلية الآداب وامامها، فانطلقت التظاهرات الرئيسية من الكلية وهم يرددون هتافات لأول مرة في تاريخ العراق المعاصر (فوزي، ١٩٨٨، صفحة ١٣٤) وهي: "نريد محاكمة عميد كلية الصيدلة والجواسيس المعتدين على الطلاب" و"يعيش السلام العالمي" و"يسقط نوري السعيد" و"تسقط حكومة العمري" و"تسقط الانتخابات المزيفة" و"يسقط الخائن عبد الاله" و"ايها المستعمرون الانكليز والامريكان اخرجوا من بلادنا" (حميدي، ١٩٧٦، صفحة ٧١٣) وتذكر المصادر انه لأول

(*) هدفها النضال من اجل السلم والتحرر الوطني والديمقراطية والسلام والنضال من اجل حقوق المرأة ومساواتها، والنضال من اجل حماية الطفولة وسعادتها. ضمت الرابطة عدداً من الشيوعيات منهن: نزيهة الدليمي، وخالدة القيسي، وكانت للرابطة نشرة باسم "حقوق المرأة" صدرت اواخر عام ١٩٥٢، للمزيد ينظر: سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي العراقي ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٤٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ٨١-٨٢؛ "البلاد"، (جريدة)، بغداد، العدد ٤٤٠٩، ٢٨ تموز ١٩٥٥.

(*) منظمة تابعة للحزب الشيوعي أسست منتصف تموز عام ١٩٥٠، ومن أبرز مؤسسيها عبدالكريم الماشطة ومحمد مهدي الجواهري وعبدالله كوران وعزيز شريف، عقدت مؤتمرها التأسيسي الاول عام ١٩٥٤، للمزيد ينظر: عباس غلام حسين نوري، محمد مهدي الجواهري ومواقفه السياسية والفكرية في العراق حتى عام ١٩٩٧، رسالة ماجستير، غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ٨٥-٨٨.

(**) من الطلبة القوميين الذين شاركوا في التظاهرات هم (متي نصره، نوار حلمي، طارق حسين، عبدالستار الدوري، صفاء محمد علي، حسان البزركان، عبدالجبار العمر، وعبد الوهاب الغريبي)، ينظر: هادي حسن، دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨، مطبعة معهد الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣٧.

مرة تسمع شعارات مدوية اربعبت السلطة آنذاك مثل "تحيا الجمهورية" و"تسقط الملكية" في هتافات الطلبة (شكر، ٢٠١٠، صفحة ٢٢٢). ولا شك ان الاحزاب السياسية وابرزها "حزب الاستقلال" و"الحزب الوطني الديمقراطي" و"الحزب الشيوعي" و"حزب البعث (المنحل)" هي من كانت تحرك الطلبة (الجعفري، ٢٠٠٠، صفحة ٩٦).

أثرت الحركات الفكرية في طلبة كلية الآداب الى ما هو خارج الكلية، فبعد ان شهدت البصرة اضرابات عمالية متتالية بدأت من السابع منتشرين الثاني ١٩٥٣، وسبب تلك الاضرابات احتجاج العمال على شركة نفط البصرة ومطالبتها بتحديد ساعات العمل، وزيادة الاجور، والغاء قرار غلق نقابة عمال الميناء، وتطبيق قانون العمال. إثر ذلك قامت الشرطة باعتقال الطلبة وطرد عدد اخر من مدارسهم ترك ذلك الحادث اثراً في نفوس الطلبة، اذ اصدر طلبة كلية الآداب بياناً اعرّبوا فيه عن سخطهم واستنكارهم لحادث الاعتداء في البصرة وجاء في البيان: "نحن طلاب كلية الآداب والعلوم نعلن عن استنكارنا الشديد لحادث اطلاق النار على عمالنا الكادحين في شركة نفط البصرة، ونطالب بإجراء التحقيق العادل مع مسببي تلك الجريمة النكراء واجابة المطالب التي اعلن الاضراب من اجلها، ونؤمن ان التخلص من الشركات الاستعمارية وتأمينها كفيل بإزاحة مآسي عمالنا الاحرار ونحن قد اعلنا الاضراب الرمزي ليوم واحد، تضامناً مع عمال شركة نفط البصرة، عاش نضال شعبنا الجبار من اجل الحرية والاشتراكية والوحدة". (حميدي، ١٩٧٦، الصفحات ٦٧-٧٢); (حسن ه، ١٩٨٤، صفحة ١٨٠).

رصدت احدى الوثائق الأمنية مدى تأثير الحركات الفكرية لدى طلبة كلية الآداب بعد ان وثقت نقاشات داخل اروقة القاعات الدراسية بين الطلبة واساتذتهم، ففي نهاية كانون الاول ١٩٥٤، رصدت مديرية التحقيقات الجنائية حادثة حصلت في احدى المحاضرات التي يلقيها الدكتور صالح احمد العلي، فبعد ان قال الأخير أن افلاطون او غيره من المفكرين لم يصلوا الى مستوى من التفكير الاجتماعي كالذي جاء به النبي محمد (صلى الله عليه واله وصحبه المنتجبين)، واذا بأحد الطلبة الشيوعيين وهو رياض طاهر العبيدي، يعترض على ذلك ويقول: "ان هناك رجالاً احق بالتقديس واعمق فكراً من النواحي التنظيمية من افلاطون ومحمد وان هؤلاء هم ماركس ولينين وتروتسكي واتباعهم ثم ان افكار افلاطون ومحمد لا يمكن ان تطبق بينما افكار الجماعة (ويقصد الزعماء الشيوعيين) مطبقة وضامنة لحياة الافراد الاقتصادية". ثم علق بعدئذ طالب اخر يدعى ناهض فليح، فقال: "ان افكار الاسلام استعمارية رأس مالية تنتظر للفرد وتترك المجموع بينما افكار ماركس غير استعمارية وواقعية (د.ك.و.و)، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٢١٧". ونتيجة لذلك اوعزت مديرية التحقيقات الجنائية، بمراقبة ومتابعة الطلبة(*) الذين تحدثوا خلال المحاضرة ودافعوا عن الفكر الشيوعي (د.ك.و.و)، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، الصفحات ٢١٥-٢١٧

في الاطار ذاته، استمر تأثير الحركات الفكرية داخل كلية الآداب وبرز من خلال موقف طلبة الكلية من الاحلاف العسكرية، اذ أعلنت الحركات الفكرية متمثلة بالأحزاب عن نية الحكومة العراقية عقد حلف مع بريطانيا، بدأ طلبة الكلية في الخامس من ايار ١٩٥٤، بجمع توافيع الطلبة على احدى العرائض التي يريدون توجيهها الى الصحف المحلية موضحين فيها استنكارهم واحتجاجهم على تصريحات وزير الخارجية العراقي فاضل الجمالي في مصر حول "مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط" وانضمام العراق الى الكتلة الغربية

(*) كل (رياض طاهر العبيدي، صبيح عبدالغني، سلوى رشيد رشدي، ناهض فليح، ناجي الحلاوي، علي عبدالرحيم، وعبدالمجيد بكتاش)، ينظر: د. ك. و. و. ، الوحدة الوثائقية، رقم الملف ٧٠٦ ، تسلسل ٣٢١٢٠ ، وزارة المعارف/ الطلاب ومعاملاتهم كلية الآداب والعلوم ١٩٥٤-١٩٥٥، و ١٦٢ ص ٢١٣-٢١٥-٢١٧.

(د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٧١)، كما قام بعض الطلبة القوميين^(*) في كلية الآداب بالتوقيع على بيان باسم "الشباب العربي في العراق" اعلنوا فيه رفضهم لاتفاقية النفط ورفضهم للمشاريع والاحلاف العسكرية وفي مقدمتها مشروع الدفاع المشترك (الحصونة، ١٩٤٧-١٩٦٣، صفحة ٩٩). وبدأوا يهتفون داخل الكلية ضد المشروع بـ: "يسقط مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط"، "تسقط حكومة جميل المدفعي"، "يسقط المجلس المزيف"، "يسقط مجلس الوزراء" (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٥ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، الصفحات ١٩٩-٢٠١)، كما هتف الطلبة في الكلية بهتافات معادية للحكومة والاحلاف واطلقوا شعار "الحياة الايجابية طريقنا للسلام"، "تسقط حكومة الجمالي الخائنة"، "لا حلف مع باكستان"، "يسقط الحلف الباكستاني"، "نؤيد المظاهر التي اقيمت في بعض مدن باكستان ضد نوري السعيد" (حسن ه، ١٩٨٤، صفحة ٢٤٤)

نجد من الضروري ان نذكر هنا حوار جرى بين الطلبة وبين احد الأساتذة البريطانيين بشأن حلف بغداد عام ١٩٥٥، اذ سأل الاستاذ في قسم اللغة الانكليزية البروفسور ايدن لويداوين، الذي كان يشغل منصب رئيس القسم اثناء احدى المحاضرات عن سبب معارضة طلبة كلية الآداب لحلف بغداد مع ان الدول المتحالفة هي دول اسلامية(ويقصد العراق، باكستان، ايران)؟ كانت اجابة الطلبة وفق ما تذكر احدى الطالبات، ان الدين ليس له علاقة بالشؤون السياسية، وان اية دولة اسلامية تعتدي او تتآمر على الشعوب الاخرى تكون عدواً لتلك الشعوب، ثم قام طالب اخر وقال له: "ان تركيا قامت بالهجوم على قبرص وتركيا دولة اسلامية الا اننا لم نقف معها لأنها دولة معتدية". وتذكر الطالبة ان ذلك الجواب فاجأ البروفسور ايدن لويداوين، وانزعج منه كما لاحظت ذلك من ملامحه. (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٤٢٧)

وبما لا يدع مجالاً للشك، تصف وثيقة صادرة من مديرية التحقيقات الجنائية أثر الحركات الفكرية على طلبة الكلية حين بينت ما نصه: "انه في العاشر من شباط ١٩٥٥، اجتمع بعض طلبة كلية الآداب في نادي الكلية وكان عددهم كثيراً واغلبهم من الشيوعيين وتكلم الطلبة عن الثورة الروسية واثرها في العالم ثم بدأ الطلبة يتحدثون عن الادباء العراقيين الذين ساروا على سيرة الادباء الروس ... ولو عادت الصحف والمجلات القومية والوطنية خاصة الاهالي وملحقها لاستطاع اليساريون ان يدحروا الرجعيين ويتقدموا خطوات واسعة في بعث الوعي" (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، الصفحات ٢١٤-٢١٧). ومما له مغزى من ذكره، ان بعض طلبة كلية الآداب قرأوا في احدى الصحف خبر فصل احد طلبة الكلية من الذين كانوا يوزعون المنشورات، فقال احدهم ما نصه: "والله حيرتنا هذه الحكومة اذا تكون قومي يحاربوك تكون شيوعي يحاربوك تكون تحريري مسلم يحاربوك ما ادري اللي يرضيهم شنو" فيرد طالب اخر عليه قائلاً: "لازم تصير على دين نوري السعيد" (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٧٢).

استناداً لما سبق، يصور لنا صالح احمد العلي، مدى تأثير الحركات الفكرية على طلبة كلية الآداب آنذاك بقوله: "ان الكليات بشكل عام وكلية الآداب بشكل خاص كانت منابر التحول وبوتقة الجدال الفكري والتلاقح وكانت الكلية المرآة الذي يصهر الافكار ويقذفها حمماً في وجه الركود والرتابة التي تحاول ان تكبح خطى التقدم والتغيير، وان اكثر ما يخيفني النشاط السياسي لشتى التكتلات الحزبية العراقية داخل كلية الآداب وتحويلها على طلبتها في القيادات الشابة والاتباع والانصار" (جاسم، ٢٠١٠، الصفحات ٦٧-٦٨).

(*) كان من الطلبة الموقعين على ذلك (فخري قدوري، عبدالله سلوم السامرائي، شفيق الكمالي، ومحمد جميل شلش)، ينظر: جعفر عباس حميدي، ١٩٧٦، المصدر السابق، ص ٧١٣؛ عبدالواحد موسى الحصونة، المصدر السابق، ص ٩٩.

شكل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، أثراً آخر يبين مدى عمق تأثير الحركات الفكرية على طلبة الكلية، اذ خرج طلبة الكلية في تظاهرة يوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٦، والقيت الهتافات المؤيدة لمصر، وهتف الطلبة بسقوط حلف بغداد، وسقوط حكومة نوري السعيد، وقد اضرب بعض الطلبة عن الدوام داخل الكلية (الدوري ح.، ١٩٩٩، صفحة ٩٧). ولم تقتصر مشاركة طلبة الكلية على تيار فكري واحد، انما اشتركت مختلف التيارات الشيوعية والقومية والديمقراطية والمستقلين واليساريين والاسلاميين لكن النشاط الاوسع كان للقوميين. وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٥٦، وعلى الرغم من اعلان الحكومة الاحكام العرفية (حميدي، ١٩٧٦، صفحة ١٥٣) قام طلبة كلية الآداب باعلان الاحتجاج بشكل موحد داخل الكلية (الحصونة، ١٩٤٧-١٩٦٣، الصفحات ١٣٢-١٣٣). كان موقف عمادة الكلية والأساتذة هو عدم الاعتراض على تلك الاحتجاجات، بل ان بعض الأساتذة كان الى جانب الطلبة. ويبين الاستاذ محمد جواد العبوسي، ان طلبة الكلية خرجوا من الصفوف وتجمعوا في نادي الكلية وصاروا يهتفون هتافات لمصر والامة العربية وسقوط الصهيونية ونددوا بسقوط الدول الاستعمارية المعتدية، وطلبوا من الحكومة تزويدهم بالسلاح لكي ينخرطوا في صفوف الجيش المصري للدفاع عن الامة العربية، وطلب الاساتذة من الطلبة ان يطالبوا مجلس الوزراء بموقف سريع من العدوان (محاكمات المحكمة العسكرية، ١٩٥٩، الصفحات ٢٥-٣٥).

وثقت وثيقة أمنية هتافات الطلبة بعد ان عادوا من السفارة المصرية وتوجهوا الى كلية الآداب في باب المعظم، اذ ردّدوا هتافات: "عيش مصر" و"نريد السلاح" و"نريد التعبئة العامة" و"يعيش جمال عبدالناصر بطل العربوية" و"يسقط حلف بغداد" و"يسقط نوري السعيد" و"الموت لإسرائيل والعزة للعرب" و"نريد قطع انابيب النفط عن الدول الاستعمارية" (حميدي، ١٩٧٦، الصفحات ١٥١-١٥٥). إزاء ذلك تعرض طلبة الكلية الى ما عرف بـ"حصار كلية الآداب"، بعد محاولة الأجهزة الأمنية القاء القبض على الطلبة الشيوعيين والقوميين وبات الطلبة يرددون وفق ما تذكر الوثائق الأمنية ما نصه: "احنه رجالك يا جمال انريد الحرية يا جمال تحبي الجزائر عربية. ما انريد هالخابين شعبه. نوري السعيد انكص ايده. فلنسقط الصهيونية. تسقط الاحكام العرفية. جيشنا عربي واحد. قيادة عربية واحدة. بينو بينو يسقط بينو. ايدن ايدن يسقط ايدن. مولي مولي يسقط مولي. نوري نوري يسقط نوري. يعيش النضال العربي. انريد الوحدة العربية فلتسقط الصهيونية". (حميدي، ١٩٧٦، الصفحات ١٥١-١٥٥). ويصف تظاهرة طلبة الكلية معاون العميد آنذاك علي الزبيدي، بما نصه: "كانت صورة رائعة من صور النضال حيث استبسل فيها القوميون ومختلف الحركات الأخرى في مقارعة شرطة نوري السعيد التي لم تتردد في استخدام القوة والرصاص والقنابل المسيلة للدموغ". (الدوري ح.، ١٩٩٩، صفحة ٨٦).

بطبيعة الحال، اشارت وثيقة صادرة من مديرية شرطة لواء بغداد الشعبية الخاصة في الثالث من تشرين الثاني ١٩٥٦، الى تأثير الحركات الفكرية على الطلبة، بما نصه: "ان المعتصمين بكلية الآداب قد التحق بهم عدد من الشيوعيين والقوميين والرعاع واخذوا يهتفون بهتافات وشتائم ضد سياسة الحكومة ويرشقون افراد الشرطة بالطابوق والقناني وكل ما تقع عليه ايديهم وقد اتخذوا من سيقان كراسي طلبة الكلية بعد ان حطموها هراوات لمقاومة رجال الشرطة". (حميدي، ١٩٧٦، الصفحات ١٥٨-١٦٠).

استناداً الى ما سبق، قدم قائد الشرطة في الرابع من تشرين الثاني ١٩٥٦، مقترحاً موجهاً الى متصرف لواء بغداد، جاء فيه: "بما ان كلية الآداب اصبحت وكرراً خطيراً يهدد سلامة الامن في بغداد حيث اعتاد الشيوعيون وغيرهم من الهدامين الاعتصام بداخلها في كل مناسبة وان ضرورات الامن تتطلب الاسراع بنقل هذه الكلية من بنائها الحالية واشغالها من قبل الشرطة لموقعها التعبوي والسيطرة على المنطقة". (الدوري ح.، ١٩٩٩، صفحة ٩٢).

شغل تأثير الحركات الفكرية على الطلبة القائمين على وزارة المعارف ايضاً، اذ يوضح ذلك لقاء جرى بين استاذ مادة الاقتصاد خزعل البيرماني ووزير المعارف آنذاك خليل كنه عام ١٩٥٧، وجاء اللقاء نتيجة تقرير كتبه احد الطلبة ضد الأستاذ بانه يدرس المبادئ الشيوعية للطلبة وتضمن اللقاء، ما نصه: "انتم اساتذة كلية الآداب دائماً عرائض؟ دائماً تنتقدوننا..."، ثم سأله الوزير عن سبب قيامه بتدريس الطلبة موضوعات سياسية تنتقد سياسة الحكومة؟ فأجابته خزعل البيرماني "انه يدرس مادة الاقتصاد في الاقطار المتخلفة والعراق وهو جزء

من تلك الاقطار فأخذة نموذجاً لتدريس تلك المادة، ثم بين انه اشار الى سبب هذا التخلف هو السياسة المالية للحكومة العراقية، سيما في مجال فرض الضرائب، فأنها تفرض ضريبة ١٠٠٪ على السكر والشاي الذي تستهلكه الطبقة الفقيرة بنسبة كبيرة، بينما تفرض ١٠٪ او ١١٪ على الصوف والبضائع المستوردة من الخارج التي تستهلكها الطبقات المرفهة"، وهذا مثال في صلب المادة التي ادرسها واني مجبر لتوضيحها للطلبة" (محاكمات المحكمة العسكرية، ١٩٥٩، الصفحات ٣٩-٤٣) انزعج وزير المعارف من ذلك الكلام وابلغه "انه سوف يقوم بنقله اذا استمر على ذلك المنوال"، فأجابه خزل البيروماني "لا يستطيع ان احيد عن هذا المبدأ او ان احيد عن طريقتي في التدريس ولك ان تفعل ما تشاء" (محاكمات المحكمة العسكرية، ١٩٥٩) لم يقتصر الامر على ذلك الأستاذ انما وجهت نفس الاتهامات الى أساتذة آخرين وهم (مهدي المخزومي، ويوسف عز الدين، وجعفر خصبك). بعد ذلك وجهت وزارة المعارف في الرابع من حزيران ١٩٥٨، طلباً لعمادة الكلية بإحالتهم الى لجنة انضباطية في الخامس من حزيران من العام نفسه. غير ان عميد كلية الآداب عبدالعزيز الدوري عمل على حماية الاساتذة ما استطاع من التدخلات الخارجية مما أدى الى تعرض الاخير للتحقيق ايضاً عام ١٩٥٨، بسبب اصطدامه مع توجيهات وزير المعارف (الدوري ع، ١٩٦٢)

ثالثاً:- الحركات الفكرية واثرها على الواقع التعليمي في كلية الآداب ١٩٥٨-١٩٦٨:

لم يكن موضوع تقارب الحركات الفكرية بين الطلبة القوميين والشيوعيين في كلية الآداب خلال العهد الملكي تقارباً استراتيجياً، انما كان تقارباً فرضته ضرورة المرحلة لمواجهة السلطة آنذاك التي كانت تسير بعيداً عن رغبات وتطلعاتهم الفكرية، وحتى التقارب في تلك المرحلة كان حذراً للغاية وذلك ما لمسناه.

ازداد تأثير الحركات الفكرية بعد نهاية الحكم الملكي بشكل قوي داخل كلية الآداب وصل حد الصراع داخل الكلية وخارجها بين الحركات الفكرية السائدة آنذاك الشيوعيين والقوميين. ولا باس من الاشارة الى بعض ما عاصره اساتذة كلية الآداب القوميين ومنهم صالح احمد العلي، اذ يقول: "بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، اندفع طلبة الكليات بشكل هائج لسحق كل ما يربطها بالعهد الملكي، ومرت كلية الآداب برجة سياسية غمرت اكثر طلبتها واساتذتها، واتسمت بالعنف، وانحدرت في بعض اوجهها الى ديماغوجية عاطفية... يُذبح فيها العقل" (جاسم، ٢٠١٠، صفحة ٨٩) اما شاكر مصطفى سليم فيقول: "كل البوادر تدل على ان هذا العام الدراسي عام غير طبيعي. انني اشعر بشعور غريب جدا في بدايته. فالعمادة تعمل جاهدة على عزلي وتجميدي. فلقد تكرم العميد بقبول استقالتني- عن طيب خاطر- من سكرتارية قسم الاجتماع التي كان قد علقها العميد السابق طيلة العطلة الصيفية الماضية. وفهمت ان العميد الجديد كان راغباً في تنحيتي عن ذلك (المنصب الخطير) (كخطوة جبارة) نحو اصلاح الكلية رغم علمه بعدم وجود استاذ اخر في القسم غيري يرضى قبول هذه المسؤولية (والعنقرة) المجانية. ثم تلا ذلك (بخطوة اخرى جبارة) في ميدان (تجميد العناصر الفاسدة) حين اخرجني من لجنة القبول في القسم رغبة منه في ابعادي عن كل شأن من شؤون القسم غير التدريس. بداية (نشاز) جداً لعام دراسي جديد". (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متأمر، ١٩٥٩، صفحة ٧).

نتيجة لذلك، توسع تأثير الحركة الشيوعية على طلبة الكلية بشكل كبير واستأثرت الشيوعية بانفرادها بالمنظمات الجماهيرية، وجعلها فروعاً لها بهدف تعزيز موقعها السياسي مما عمق الازمة بين الطلبة والاساتذة (عبدالكريم، صفحة ٥)، سيما بعد ان رفعت الحكومة القيود والموانع التي تحول دون اشتراك الطلبة في الانشطة السياسية والتظاهرات وغيرها (الحسناوي، ٢٠١٥، صفحة ١٠٤) فجاء اعفاء عميد كلية الآداب عبدالعزيز الدوري في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٨، كواحدة من تلك الاجراءات الانتقامية او يمكننا القول ايضاً انها احدى نتائج تنافس الحركات الفكرية بين القوميين والشيوعيين داخل الكلية. (جاسم، ٢٠١٠، صفحة ٩٠).

مهما يكن من امر، عانت كلية الآداب في ظل الواقع السياسي المنقسم بين القوميين الذين يدعمهم عبدالسلام محمد عارف وبين الشيوعيين الذين يدعمهم عبدالكريم قاسم، واثّر إبعاد عبدالسلام محمد عارف عن مناصبه تصاعد غضب الطلبة القوميين داخل كلية الآداب وقاموا بتظاهرات أدت الى اشتداد الصراع والسجلات

بين الطلبة داخل الكلية فأصبحت السلطة تلاحق القوميين وتطاردهم مما أدى الى ترجيح كفة الشيوعيين. (عبد الحميد العاني، ٢٠٠٥، الصفحات ٤٥٢-٤٥٩).

كان من جملة انعكاسات الحركات الفكرية على طلبة الكلية هي حدوث مشاجرات عدة يصفها احد الطلبة بانها كانت اياماً عصيبة على طلبة الكلية، اذ قام الشيوعيين بإجبار الطلبة الآخرين بالتوقيع على اوراق اعدام عبدالسلام محمد عارف، عند دخول الطلبة او خلال خروجهم ولم يستطع كثير من الطلبة الاعتراض على تلك التصرفات ومن يعترض من الطلبة يتهم بانه بعثي قومي متأمر (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٤٦٤). حتى اصبح الصراع السياسي بين الحركات السياسية الفكرية بعد الثورة صراعاً بين الطلبة واصبحت الكلية مركزاً لذلك الصراع، بل واصبح الطلبة نارا لتلك الخلافات الفكرية وحطبها واخذ بعض الطلبة يُنكل ببعضهم الاخر. (جريدة، الحرية، ١٩٥٩) (العلوي، ٢٠١٠، صفحة ٥١)

عكست انتخابات اتحاد الطلبة جانبا اخر من تأثير الحركات الفكرية السياسية على طلبة كلية الآداب، فعلى أثر تشكيل لجنة تحضيرية لغرض الاعداد لانتخابات المؤتمر التأسيسي ضمت اللجنة ستة عشر طالباً معظمهم من الشيوعيين (جريدة، الحرية، ١٩٥٨) (جريدة، اتحاد الشعب، ١٩٥٩). وبذلك الشأن يوضح شاکر مصطفى سليم، الذي كان مرشحاً مع ثلاثة من الاساتذة القوميين للإشراف على انتخابات الاتحاد داخل الكلية، ان عميد الكلية مهدي المخزومي نظم وبمعاونة مرشحي الاتحاد حملة لكسب الطلبة المحايدین وشراء الاصوات بالوعود والتهديد. ثم وصف تلك المرحلة التي سبقت انتخابات اتحاد الطلبة بـ "المهزلة" على حد تعبيره، فقرر الاساتذة والطلبة القوميون الانسحاب من تلك الانتخابات. ويذكر شاکر مصطفى سليم ان عميد الكلية والاستاذ صلاح خالص عدّا قرار انسحاب القوميين مخالفة قانونية واصراً على اجراء الانتخابات بتلك الصورة "المضحكة" على حد وصفه. (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متأمر، ١٩٥٩، صفحة ٢٥). اجريت الانتخابات كما مقرر لها في نهاية عام ١٩٥٨، فاز إثرها الطلبة الشيوعيون واصبح الاتحاد تحت مسمى "الاتحاد العام لطلبة العراق"، الامر الذي أدى الى انسحاب القوميين من الانتخابات وعدم الاعتراف بنتائجها، واخذ الطلبة القوميين يعملون تحت اسم "اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية" (غير الرسمي). (جريدة، الحرية، ١٩٥٨)؛ (عبد الحميد العاني، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣٥).

بصرف النظر عما تقدم، يوثق الاستاذ يوسف عز الدين تأثير الحركات الفكرية على طلبة كلية الآداب، اذ يوضحان التفرقة والتطرف جاءت بعد ثورة تموز بسبب الحكم العسكري، فقبل ذلك كان اساتذة كلية الآداب اخوة لا فرق بينهم في الود والالفة ولم يظهر الانقسام الفكري والسياسي الا بعد ان اخذ قسم من الاساتذة بعزل القسم الاخر. (الدين، ٢٠٠١، صفحة ٢١).

وتأسيساً على ذلك، بدأت الحركات الفكرية داخل كلية الآداب بالتصادم بمجرد ان يعبر الطلبة عن أفكارهم ومبادئهم في مناسبة ما. فخلال اقامة حفلة التعارف في نادي الكلية عام ١٩٥٩، احتوى برنامج الحفلة الذي رعاها الطلبة القوميين على بعض الفقرات الاستهزائية بشخصية جورجي مالينكوف (Georgy Malenkov) (*)،

(*) ولد عام ١٩٠٢ في مدينة اورينبورغ في روسيا من عائلة ارستقراطية، تخرج في جامعة موسكو للتكنولوجيا. انضم الى البلاشفة منذ ثورة ١٩١٧، واصبح عميداً في الجيش الاحمر وربطته خلالها صداقة قوية مع ستالين. اصبح رئيساً للحزب الشيوعي ورئيساً للاتحاد السوفيتي بشكل مؤقت إثر وفاة ستالين عام ١٩٥٣. أجبره اعضاء المكتب السياسي على التخلي عن سيطرته على جهاز الحزب مع الإبقاء على رئاسة الاتحاد السوفيتي، حتى تم عزله كرئيس وزراء من سكربتير الحزب الأول نيكيتا خروتشوف، بعد تنظيم انقلاب فاشل في وقت لاحق ضد خروتشوف في عام ١٩٥٧، تم طرده من المكتب السياسي ونفي إلى كازاخستان في عام ١٩٥٧. في عام ١٩٦١ تم طرده نهائياً من الحزب، عاد إلى موسكو حتى وفاته عام ١٩٨٨، ينظر:

<https://mimirbook.com/ar/dictionary/mypedia/1426/Encyclopedia Mypedia>

الامر الذي احدث شجاراً بين الطلبة الشيوعيين والقوميين. في حين كان القوميين يتهمون على الشيوعيين في الصحف كما فعل ثامر رشيد السامرائي، احد طلاب قسم الفلسفة، بنشره مقالاً بعنوان "تمثيل شيوعي يهودي" هاجم فيه "انصار السلام". (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية رقم الملف ٧٠٦ تسلسل ٣٢١٢٠، ١٩٥٤-١٩٥٥، صفحة ٧١؛ جريدة، اليقظة، ١٩٥٣)

سجلت انتخابات نقابة المعلمين في آذار ١٩٥٩، صراعاً فكرياً اخر داخل الكلية، اذ جرت الترشيحات لها من الاساتذة فرشح كل من الاساتذة الشيوعيين في الكلية (صفاء حافظ وصلاح خالص)، معززين بدعم من الحزب الشيوعي وبالمقابل رشح بعض الاساتذة القوميين ايضاً لانتخابات النقابة بدعم من القوميين (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متآمر، ١٩٥٩، الصفحات ٤٥-٤٧). إثر ذلك شنت السلطات وبدعم من الشيوعيين حملة اعتقالات في اليوم الرابع عشر من آذار ١٩٥٩، لعدد من اساتذة كلية الآداب القوميين منهم (صالح احمد العلي، محمد حامد الطائي، شاكور مصطفى سليم، عبدالرحمن القيسي، احمد حقي الحلي، عبدالرزاق محي الدين، وعبدالرزاق الحسون). (سليم، الاضبارة التقاعدية، ١٩٦٥).

أدى تأثير الحركات الفكرية على واقع الكلية الى تدخل رئيس جامعة بغداد عبدالجبار عبدالله، اذ اخبر الاخير في لقاء مع الأستاذ شاكور مصطفى سليم: "ان عميد كلية الآداب لا يريدك في الكلية بسبب الاختلاف الفكري والسياسي بينكما"، فرفض شاكور مصطفى سليم، قائلاً: "ان من العيب على جامعة بغداد ان تتساق وراء الحزبية الضيقة لهذا الحد فتقتل استاذاً كل ذنبه انه يعتقد فكرة سياسية تخالف فكرة عميد كليته". (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متآمر، ١٩٥٩، صفحة ١٠).

وصل التأثير الفكري للحركات السياسية داخل الكلية الى الدعوة بتصفية بعض الاساتذة والطلبة القوميين وفق قائمة تم اعدادها من اتحاد الطلبة الذي يسيطر عليه الشيوعيين، اذ سرت شائعات يوم التاسع عشر من تموز ١٩٥٩، بين اوساط الكلية ان السلطات الحكومية عثرت على قوائم خاصة ضمت اسماء (٨٠) استاذاً وموظفاً وطالباً في كلية الآداب يجب ان تتم تصفيتهم (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متآمر، ١٩٥٩، الصفحات ١٢٣-١٢٤)، وقد اكد ذلك تصريح عبدالكريم قاسم بمؤتمره الصحفي في التاسع والعشرين من تموز ١٩٥٩، بانه تم العثور على قوائم وخرائط في مبنى الاتحاد لتصفية بعض الأشخاص لكنه لم يذكرها بالتفصيل. (جريدة، الحرية، ١٩٥٩).

انتقد الاساتذة(*) القوميين على حد وصفهم "الارهاب الشيوعي داخل الكليات"، وحذروا الناس والمسؤولين من الترددي المخيف الذي وصلت اليه كلية الآداب وصوروا الوضع المشين الذي انحدرت اليه احدى كليات جامعة بغداد على ايدي الانتهازيين وكتبوا مذكرة جاء فيها: "مرت كلية الآداب في العام المنصرم بفترة شاذة، سادها جو قاتم من الارهاب والتهديد مما شل الحركة العلمية فيها وحاد بها عن الاغراض التي اسست من اجلها، وقد تأثرت تأثيراً مباشراً بما تأثرت به المؤسسات الثقافية الاخرى خاصة والبلاد عامة، مدفوعة بذلك بتيارات حزبية ضيقة هدامة، لا تهدف الى خدمة لبناء وطننا وانما تعمل قصداً وبإصرار لخدمة الاستعمار الاجنبي. ونحن العاملين في هذه المؤسسة والشاعرين بما الت اليه الكلية من التسيب وما وصلت اليه من تدهور في مستواها العلمي والخلقي والاجتماعي، بحيث اصبحت قاعدة لخدمة المنظمات الشيوعية والفوضوية وتوقفت عن تحقيق وظيفتها الجامعية". (سليم، الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متآمر، ١٩٥٩، الصفحات ٦-٧)

ناهيك عن ذلك كله، فقد كان لأثر الحركات الفكرية على فكر الطلبة هو اشتراك بعض الطلبة في المحاولة الفاشلة لحزب البعث (المنحل) باغتيال عبدالكريم قاسم، في السابع من تشرين الاول ١٩٥٩، التي شارك فيها وقتل عبدالوهاب الغريزي، وهروب عبدالحميد مرعي، وهما طالبان في كلية الآداب، وهو ما جعل الفكر الشيوعي

(*) كل من (صالح احمد العلي، جاسم محمد الخلف، جعفر حسين خصباك، احمد ناجي القيسي، محمد حامد الطائي، شاكور مصطفى سليم، وجاسم العبودي)، ينظر: شاكور مصطفى سليم، نضال وحبال، ج ٣، المصدر السابق، ص ٦-٧.

يقوى كثيراً في كلية الآداب (عبد الحميد العاني، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٢١-٣٢٦) (حسن هـ، ١٩٨٤، صفحة ٢١٢). وعلى الرغم من ذلك، نشط الطلبة القوميون عبر احزابهم، سيما حزب البعث (المنحل) بتنظيم انفسهم شيئاً فشيئاً حتى بين الاوساط العمالية عندما شكلت "المكتب العمالي المركزي" اوائل عام ١٩٦٠ (حسن هـ، ١٩٨٤، صفحة ١٤٢) ثم بدأ الطلبة القوميون عبر "الاتحاد الوطني لطلبة العراق" ينشطون بشكل اكثر في عمل الاتحاد والسيطرة على لجانته حتى وصل ذروته في نهاية عام ١٩٦٢، اذ اصبح النظام السياسي الذي يسانده الشيوعيين معزولاً على المستوى الداخلي والخارجي. (شكر، ٢٠١٠، الصفحات ٣٥٥-٣٥٦)

مهما يكن من امر، كان للإضراب الطلابي للقوميين تأثير بشكل او اخر في تسريع عملية الانقلاب العسكري ضد النظام السياسي، اذ كانت هتافاتهم تصف السلطة آنذاك بالدكتاتورية (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٤٨٨). وفي الثامن من شباط ١٩٦٣، تحقق الهدف الذي كان يعمل من أجله القوميون والبعثيين والناصريين بالوصول إلى السلطة بانقلاب عسكري (بطاطو، ٢٠٠٦، الصفحات ٣١٧-٣١٩)، فتعرض الطلبة الشيوعيين الى الضغوط والمحاكمات من السلطة الجديدة التي تبنت تياراً فكرياً جديداً، ثم انعكس الصراع بين القوميون انفسهم داخل كلية الآداب، اذ بدأ التنافس واضحاً للعيان داخل الكلية بين القوميون الناصريين والقوميين من حزب البعث (المنحل) من جهة وبين القوميون والشيوعيين من جهة أخرى. (الساعدي، ٢٠٢٤، صفحة ٤٨٨) فكان من الطبيعي بعد تغير النظام السياسي فكرياً ان يتعرض عميد كلية الآداب مهدي المخزومي(*) ومن معه من الاساتذة الذين عرفوا بتوجههم الشيوعي الى العزل السياسي. (الطاهر، ١٩٦٣)

استناداً لمل سبق، كانت نشاطات "الاتحاد الوطني لطلبة العراق"، مؤثرة بشكل كبير على روحية وافعال الطلبة داخل كلية الآداب بشكل عام وطلبة الكليات بشكل خاص من جهة، وعلى الوضع السياسي للسلطة من جهة اخرى كونه اكثر تنظيمياً، لذلك طلبت الحكومة عام ١٩٦٥، ان يعقد اساتذة وعمداء الكليات في جامعة بغداد مؤتمراً للنظر بموضوع قانون اتحاد الطلاب للحد من تأثير الحركات الفكرية او استغلال الاحزاب لذلك الاتحاد، وفي الرابع من ايار ١٩٦٥، تم اقرار قانون اتحاد الطلبة في الجمهورية العراقية المرقم (٩٦) لسنة ١٩٦٥. (د.ك.و.و، الوحدة الوثائقية، ١٩٦٥-١٩٦٧، الصفحات ٦٩-٧٦).

الخاتمة:

(*) صدر الامر الجامعي في الثاني عشر من آذار ١٩٦٣، بسحب اليد عن اساتذة كلية الآداب وهم (مهدي المخزومي، خزعل البيرماني، عبد الجليل الطاهر، علي جواد الطاهر، كمال قاسم نادر، وشاكر حسين خصباك)، ينظر: اضبارة عبد الجليل الطاهر، رقم ٤/٢٠، كتاب الامر الجامعي الصادر من رئاسة الجامعة المرقم ٣١٦٤ في ١٢ آذار ١٩٦٣.

يتضح ان الحركات الفكرية أثرت على الواقع التعليمي في كلية الآداب عبر اساتذتها وطلبتها بثلاث انظمة سياسية عكست كل واحدة منها توجهاتها الفكرية. ففي العهد الليبرالي المحافظ (اي العهد الملكي), كان تأثير الحركات الفكرية هادئة قياساً بالمرحلة السياسية التي تلتها وهي مرحلة الحكم العسكري ١٩٥٨-١٩٦٣ , ذي النزعة الوطنية التي شهدت سيطرة واضحة لليسار, سيما الشيوعيين, اذ شهدت صراعاً محموماً بين السلطة من جهة والطلبة والاساتذة من جهة اخرى. اما مرحلة الحكم الجمهوري الثاني ١٩٦٣-١٩٦٨ , فهي الاخرى شهدت تحولاً كبيراً في سيطرة التيار القومي على نشاطات الكلية وهو الاخر شهد ردة فعل تجاه اليسار وبشكل خاص تجاه الشيوعيين. لكن رغم ذلك كله, كانت مخرجات كلية الآداب على المستوى العلمي والاكاديمي جيدة جداً بدليل ان المتخرج من الكلية كان يقبل للدراسات العليا خارج العراق من دون اختبار.

المصادر والمراجع

أولاً:- الوثائق غير المنشورة:

- ١- د. ك. و. و. , الوحدة الوثائقية, رقم الملف ٧٠٥ , تسلسل ٣٢١٢٠ , وزارة المعارف/ الطلاب ومعاملاتهم كلية الآداب والعلوم ١٩٥٠-١٩٥٤.
- ٢- د. ك. و. و. , الوحدة الوثائقية , رقم الملف ٧٠٦ , تسلسل ٣٢١٢٠ , وزارة المعارف/ الطلاب ومعاملاتهم كلية الآداب والعلوم ١٩٥٤-١٩٥٥.

٣- د. ك. و. و. , الوحدة الوثائقية , رقم الملف ٤٢٤ , تسلسل ٤٢١٢٠٠ , وزارة التربية والتعليم/ الطلاب ومعاملاتهم ١٩٦٥-١٩٦٧ .

ثانياً:- الاضابير التقاعدية:

١- الاضبارة التقاعدية , عبدالعزيز الدوري, رقم ٣/٢ .

٢- الاضبارة التقاعدية , عبدالجليل الطاهر, رقم ٤/٢٠ .

٣- الاضبارة التقاعدية , شاكر مصطفى سليم, رقم ١/١٢ .

ثالثاً:- الصحف:

١- "البلاد", (جريدة), بغداد, العدد ٤٤٠٩ , ٢٨ تموز ١٩٥٥ .

٢- "الحرية", العدد ١٣١٠, ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ .

٣- "الحرية", العدد ١٤٣٠ , ٢ اب ١٩٥٩ .

٤- "الحرية", (جريدة), بغداد, العدد ١٤٣٣ , ٥ اب ١٩٥٩ .

٥- "اتحاد الشعب", (جريدة), بغداد, العدد ٢٢١ , ١١ تشرين الاول ١٩٥٩ .

٦- "الحرية", العدد ١٤٨٣ , ٥ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

٧- "المدى", (جريدة), بغداد, العدد ٣٨٢١ , ٩ كانون الثاني ٢٠١٧ .

٨- "المدى", العدد ٤٣٨٠ , ٢٦ شباط ٢٠١٩ .

رابعاً:- الكتب العربية:

١- ابراهيم خليل العلاف, تاريخ العراق الثقافي المعاصر "دراسات ومقالات", الطبعة الاولى, دار ابن الاثير للطباعة والنشر, جامعة الموصل, ٢٠٠٩ .

٢- احمد فوزي, المثير من احداث العراق السياسية, الطبعة الاولى, دار الحرية للطباعة, بغداد, ١٩٨٨ .

٣- بلفيس شرارة, هكذا مرت الايام, الطبعة الاولى, دار المدى, بغداد, ٢٠١٥ .

٤- جعفر عباس حميدي, التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣ , الطبعة الاولى, مطبعة النعمان , النجف, ١٩٧٦ .

٥- _____, التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣-١٩٥٨ , الطبعة الاولى, طبع على نفقة جامعة بغداد, ١٩٨٠ .

٦- _____, انتفاضة العراق عام ١٩٥٦, قسم الدراسات التاريخية, بيت الحكمة, ٢٠٠٠ .

٧- حازم مجيد أحمد الدوري, انتفاضة العراق القومية في عام ١٩٥٦, رسالة ماجستير , غير منشورة, معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا, بغداد, ١٩٩٩ .

٨- حسن العلوي, عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين, روح الامين للنشر, مطبعة سبحان, دم , ٢٠١٠ .

٩- حنا بطاطو, الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار , ترجمة: عفيف الرزاز, الكتاب الثالث, الطبعة الاولى, منشورات فرصاد, طهران, ٢٠٠٦ .

١٠- سمير عبدالكريم, اضواء على الحركة الشيوعية في العراق, تقديم: صلاح محمد, الجزء الثاني, دار المرصاد, بيروت, د.ت .

١١- شاكر مصطفى سليم, الاعصار الاحمر من مذكرات قومي متأمر, الجزء الثاني, دم , د.ت .

١٢- _____, منمذكراتقوميتمأمر, الجزء الاول, الطبعة الاولى, مطبعةالعاني, بغداد, ١٩٥٩ .

١٣- _____, نضالوحوبالمنمذكراتقوميتمأمر, الجزء الثالث, الطبعة الاولى, مطبعةالعاني, بغداد, ١٩٦٣ .

١٤- محمد حمدي الجعفري, انقلاب الوصي في العراق, الطبعة الاولى, مكتبة مدبولي, القاهرة, ٢٠٠٠ .

١٥- محمد عبود سعد الساعدي, كلية الآداب والعلوم ١٩٤٩-١٩٦٨ النواة الأولى لتأسيس جامعة بغداد دراسة تاريخية, الطبعة الأولى, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٢٤ .

- ١٦- مليح صالح شكر, تاريخ الصحافة العراقية فيالعهدين الملكي والجمهوري ١٩٣٢-١٩٦٧ , الطبعة الاولى, الدار العربية للموسوعات, بيروت, ٢٠١٠ .
- ١٧- مؤيد ابراهيم الوندائي, العراق في التقارير السنوية للسفارة البريطانية ١٩٤٤-١٩٥٨ , الطبعة الاولى, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ١٩٩٢ .
- ١٨- ناصر عبدالرزاق الملا جاسم, المؤرخ صالح احمد العلي رحلة التأسيس لمنهج اكاديمي لدراسة التاريخ العربي, الطبعة الاولى, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠١٠ .
- ١٩- نوري عبدالحמיד العاني وعلاء جاسم محمد الحربي, تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨ , الجزء الاول والثاني والثالث, الطبعة الثانية, بيت الحكمة, بغداد, ٢٠٠٥ .
- ٢٠- هادي حسن, دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨ , مطبعة معهد الثقافة العمالية, بغداد, ١٩٨٤ .
- خامسا:- الرسائل والاطاريح الجامعية:
- ١- اثير رزاق نعيم الحسنائي, الحركة الطلابية في صراع الاحزاب السياسية العراقية ١٩٤٨-١٩٦٣, رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب, جامعة ذي قار, ٢٠١٥ .
- ٢- سيف عدنان ارحيم القيسي, الحزب الشيوعي العراقي ودوره في الحركة الوطنية العراقية ١٩٤٩-١٩٥٨ , رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية الآداب, جامعة بغداد, ٢٠١٠ .
- ٣- عباس غلام حسين نوري, محمد مهدي الجواهري ومواقفه السياسية والفكرية في العراق حتى عام ١٩٩٧, رسالة ماجستير, غير منشورة, المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, الجامعة المستنصرية, ٢٠٠٦ .
- ٤- عبدالواحد موسى الحصونة, الحركة الطلابية العراقية ودورها في النضال الوطني والقومي ١٩٤٧-١٩٦٣ , رسالة ماجستير, غير منشورة , كلية الآداب, جامعة بغداد, ١٩٨٣ .
- ٥- مها عبداللطيف حسن, انتفاضة تشرين الثاني في العراق ١٩٥٢ , رسالة ماجستير, غير منشورة, كلية القانون والسياسة, جامعة بغداد, ١٩٨٤ .
- سادسا:- الإصدارات الحكومية:
- ١- محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة, وزارة الدفاع, الجزء ٧ و١١ , مطبعة الحكومة, بغداد, ١٩٥٩ , ص٢٥, (من اقوال عبدالعزيز الدوري).
- ٢- الجمهورية العراقية, جامعة بغداد, كلية الآداب للسنوات ١٩٦٦-١٩٦٧-١٩٦٨ , مطبعة الحكومة, بغداد , ١٩٦٨ .
- سابعا:- البحوث والمجلات:
- ١- جعفر ال ياسين, نحو الفكر الجديد, " الفكر الجديد", (مجلة), جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الفلسفة, السنة الاولى, العدد الاول, ١٩٦٦ .
- ٢- يوسف عز الدين في مرايا الآخرين, "ضفاف", (مجلة ثقافية عامة), العدد السابع, حزيران ٢٠٠١ .
- ثامنا:- الشبكة العالمية (الانترنت):

1- <https://mimirbook.com/ar/dictionary/mypedia/1426/> Encyclopedia Mypedia .